

الحكيم الترمذي وجهوده في الدعوة إلى اللّه

نظرية المقاصد أنموذجاً

إعداد الباحث

مبــارك فيصـل الغريّـب

باحث دكتوراه

قسم أصــول الدين ومقارنـــة الأديان

كلية معارف الوحي والعلوم والإنسانيّة

الجامعة الإسلاميّــة العالميّــة بماليزيا




بسم الله الرحمن الرحيم

الحكيم الترمذي وجهوده في الدعوة إلى الله نظرية المقاصد أنموذجاً

مبارك فيصل الغريّب

قسم أصول الدين ومقارنة الأديان، كلية معارف الوحي والعلوم والإنسانيّة، الجامعة الإسلاميّة العالميّة بماليزيا

البريد الإلكتروني: aboabdallah078@gmail.com

ملخص البحث

إن الشريعة الإسلامية ليست قائمة على التحكم، وعلى هذا المنطلق قام الحكيم الترمذي رحمه الله تعالى في بيان أن أحكامها معللة المعنى، وقد خالف الفكر السائد في مجتمعه آنذاك مما تسبب في بعض القلائل بينه وبينهم حيال ذلك، وهو من الأوائل الذين قالوا أشاروا إلى فكرة المقاصد وقد استخدم الفعل ق.ص.د في ثنايا كلامه كما سنرى، وقد اتهم بعدة اتهامات كما سنفندها في هذا البحث إن شاء الله، وقد جاء البحث في مبحثين تناول الأول منهما التعريف به وبيان تراثه العلمي، ثم الثاني جهوده في نظرية المقاصد، ثم سرد مجموعة من نتائج البحث فالتوصيات، والمنهج المتبع هو المنهج الاستقرائي وذلك من خلال تتبع كتبه رحمه الله تعالى وما قيل عنه من كلام أهل العلم وذلك من خلال الشبكة العنكبوتية، سائلاً المولى الهداية والرشاد والتوفيق إلى صالح القول والسداد.

الكلمات المفتاحية: الحكيم، ترمذ، نظرية، مقصد.

Al-Hakim Al- Tirmidhi and his Efforts in the Field of *Dawah* (Calling to Allah) The Theory of Purposes; A Model

By: Mubarak Faisal Al-Ghorayb
Department of Osoul Al- Deen and Comparative Theology
Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences
International Islamic University Malaysia
E-mail: aboabdallah078@gmail.com

Abstract

Islamic Sharia is not dominance- based. From this perspective, Al- Hakim Al-Tirmidhi, May Allah have Mercy on him, took upon himself the responsibility to clarify the provisions of Sharia as well as their purposes. In doing so, Al-Tirmidhi was very different from the prevalent ideology of his time and such difference led to some disturbances in between him and those scholars regarding this issue. Al-Tirmidhi was one of the forerunners who referred to the idea of the purposes and using the verb "mean" in between speech lines as will be seen later. Therefore, some accusations were raised against Al-Tirmidhi and they will be refuted along this research. The research includes an introduction, two chapters and a conclusion. The first chapter intends to introduce Al- Tirmidhi and his scholarly heritage while the second chapter highlights his efforts and the theory of purposes. The conclusion displays a group of findings and recommendations of the research. The research applies the inductive approach through tracing the books of Al- Tirmidhi, May Allah have mercy on him, and what had been noted about him by scholars of Islam on the worldwide web.

Key words: Al- Hakim Al- Tirmidhi, theory, purpose.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

إن الحمد لله، نحمدُه ونستغفره ونستعين به ونستهديه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهْدِ اللهُ فلا مضِلَّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، بعثه اللهُ رحمةً للعالمين هاديًا ومبشراً ونذيراً، بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصحَ الأمّةَ فجزاهُ اللهُ خيرَ ما جزى نبيًا من أنبيائه، صلواتُ اللهِ وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى صحابته وآل بيته، وعلى من أحبهم إلى يوم الدين.

أما بعد! فلا شك أن عرض أراء العقول على نصوص الشريعة أنه من تمام الدين، وهذا ما قام به الحكيم الترمذي رحمه الله تعالى، وقد علق المستشرق الألماني البروفسور برند مانويل فايشر على ذلك قائلاً: "والذي حدا المستشرق بيرند راتكه (**Berned Radtke**) الأستاذ في جامعة أوترخت (**Utreeht**) والمختص الغربي الأوحد الذي قام منذ ثلاثين سنة بدراسة عميقة لأفكار الحكيم الترمذي ومؤلفاته إلى أن يطلق عليه بحق لقب تيوسوف إسلامي (**Theosophe**) .

وهذا واضح من خلال كتابه إثبات العلل حيث نجده يفلسف الشريعة بالبحث عن أسرارها ومقاصدها، فالحكيم الترمذي يعتبر مؤسسا لفكر إسلامي قائم على أساس الإيمان الإسلامي المستند إلى العقل والعرفان حين يقوم بتحليل المسائل المعقدة في الشريعة الإسلامية التي أخذت شكلها النهائي في عصره. ولذلك، فإن أفكاره ونظرياته حول الشريعة وأسرارها من الأهمية بمكان؛ لأنها تقف شاهده في عصره على التجديد التاريخي الذي خدم به الشريعة؛ مما يجعل ملاحظاته وتعليقاته الفلسفية والعرفانية تغني المناقشة الحالية التي تدور حول العلاقة بين الإيمان الشخصي لكل مسلم والأهمية الأساسية للشريعة في التنظيم الإسلامي لحياة المسلم."(١)

ذلك أن "العلم بمقاصد الشريعة واعتبارها عند دراسة الأحكام الواقعة أو المتوقعة خيرُ مُعين لإصابة

(١) محمد بن علي بن الحسن بن بشر الترمذي، إثبات العلل، تحقيق: خالد زهري، (الدار البيضاء: النجاح الجديدة، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص٧.

الحق بعد توفيق الله، ومعرفة المصالح والمفاسد هي لب الفقه وهي الغاية من معرفة الأحكام".[1]

إن الشريعة الإسلامية ليست قائمة على التحكم، وعلى هذا المنطلق قام الحكيم الترمذي في بيان أن أحكامها معللة المعنى، وقد خالف الفكر الســائد في مجتمعه آنذاك مما تســبب في بعض القلائل بينه وبينهم حيال ذلك، وهو من الأوائل الذين أشاروا بل قالوا صراحة بـ فكرة المقاصد وقد استخدم الفعل ق.ص.د في ثنايا كلامه كما ســنرى، وقد اتهم بعدة اتهامات كما ســنفندها في هذا البحث إن شــاء الله، سائلاً المولى الهداية والرشاد والتوفيق إلى صالح القول والسداد.

(١) حاتم بوسمة، مدخل إلى درلسة مقاصد الشريعة الإسلامية، (تونس: الدار التونسية للكتاب، د.ط،١٤٣٦هـــ/٢٠١٥م)، ص٥.

المبحث الأول

التعريف به وبيان تراثه العلمي

أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الترمذي الملقب والمعروف بـ الحكيم الترمذي، وهو غير محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي صاحب كتاب الشمائل المحمديّة والسنن(١)، وهو من أعلام القرن العاشر **الميلادي** وأحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع **الهجري**، من كبار مشايخ خراسان، لقي أبا تراب النخشبي وصحب أبو عبد الله بن الجلاء وأحمد بن خضرويه، ومن طلابه أبو علي الجوزجاني، توفي سنة ٣٢٠ هـ.(٢)

كتبه:

- ختم الأولياء:

قيل أنه زعم أن خاتم الأولياء يكون في آخر الزمان، وأنه أفضل ممن تقدمه من الأولياء، ومن أبي بكر وعمر، ومن خصائصه عند اشتغاله بالأعمال القلبية أكثر من اشتغاله بالعبادة، ولذا زعم الحكيم الترمذي: أن الولاية أفضل من النبوة فقال في الفصل العاشر: " الفرق بين النبوة والولاية أن النبوة كلام ينفصل من الله وحيا، ومعه روح من الله فيقضي الوحي ويختم بالروح ... والولاية لمن ولى الله حديثه على طريق أخرى، فأوصله إليه فله الحديث، وينفصل ذلك الحديث من الله عز وجل، على لسان الحق معه السكينة، تتلقاه السكينة في قلب المحدّث، فيقبله ويسكن إليه"، ووضوح الباطل في هذه الأساطير بين لا يحتاج إلى بيان.

---

(١) مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الحكيم الترمذي،
< http://www.mominoun.com/ articles /الحكيم-الترمذي-٨٧٦
شوهد في ١٢ مايو ٢٠١٧م.

(٢) انظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، >الحكيم_الترمذي<http://ar.wikipedia.org/wiki/ آخر تعديل لهذه الصفحة ٢١ سبتمبر ٢٠١٦م.

وقد رد الإمام ابن تيمية عليها في الجزء الرابع من مجموعة الرسائل والمسائل[1]، لكن كثير من العلماء نفى هذه التهمة عنه، كما ردها عن نفسه أيضًا في حلية الأولياء حيث قال: "قال قائل أفليس في هذه الأخبار ما يدل على تفضيل من دون الأنبياء على الأنبياء؟ قال: معاذ الله أن يكون كذلك".

- تذكرة الأولياء.
- الرياضة وأدب النفس.
- الصلاة ومقاصده.
- العقل والهوى.
- إثبات العلل، "ولعل أهم ما كتبه في موضوعنا هو كتابه الذي يذكر باسم: "العلل" و"علل الشريعة" و"علل العبودية"، ويذكر الأستاذ محمد عثمان الخشت أنه "حاول فيه تعليل الفرائض تعليلًا عقليا"[2].
- الأمثال من الكتاب والسنة.
- نوادر الأصول في أحاديث الرسول.
- الأعضاء والنفس.
- المنهيات.
- الأكياس والمفتروس.
- وله كتاب الفروق؛ يفرق فيه بين المداراة والمداهنة، والمحاجة والمجادلة، والمناظرة والمغالبة، والانتصار والانتقام الخ، وهو فريد في بابه.

---

(١) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، مصرع التصوف، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، (مكة المكرمة: عباس أحمد الباز، د.ط، د.ت)، ص١٧٣.

(٢) محمد عثمان الخشت، المنهيات للترمذي:

http://shamela.ws/browse.php/book-8343/page-27>

شوهد في ١٢ مايو ٢٠١٧م.

طلابه ومريدوه:

من الجدير بالذكر أن الإمام الغزالي رحمه الله تأثر بالحكيم الترمذي كثيراً، وإن يكن له رحمه الله مريدون كثر، ونذكر منهم على سبيل المثال:

١- أبو محمد يحيى بن منصور القاضي.

٢- منصور بن عبدالله بن خالد الهروي.

٣- الحسن بن علي الجوزجاني.

٤- أحمد بن محمد بن عيسى.

٥- أبو بكر ابن الوراق الترمذي.

٦- أبوبكر محمد بن جعفر بن الهيثم.(١)

ممن كتب عنه:

- محي الدين بن عربي، ومن مصنفاته في هذا الشأن:
- الجواب المستقيم عما سأل عنه الترمذي الحكيم.
- كامل محمد عويضة، الحكيم الترمذي الفقيه الناقد.
- خالد زهري: وقد حقق كتابه إثبات العلل.
- محمد كمال الدين إمام، ضمن بحثه الموسوم: المقاصد قبل الشاطبي، وغيرهم كثير.

(١) موقع المعرفة، الحكيم الترمذي:
http://www.marefa.org/index.php/ <الحكيم_الترمذي

المبحث الثاني

جهوده في المقاصد

من أوائل من استعمل لفظ "المقاصد" في عنوان كتابه، وذلك في كتابه: "الصلاة ومقاصدها"، وأتى بعده ابن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٢٩هـــ في كتابه علل الشرائع ثم أبو منصور الماتريدي المتوفى سنة ٣٣٣هـــ في كتابه مأخذ الشرائع ثم أبوبكر محمد بن علي الشاشي المعروف بالقفال الكبير المتوفى سنة ٣٦٥هـ، رحمهم الله جميعـًا.[١]

"وعانى الحكيم الترمذي رحمه الله تعالى حياة قلقة كان من أســبابها إثباته العلل العقلية لأحكام الشريعة مخالفًا بذلك، الفكرة السائدة آنذاك وهي أن العبادات غير معقولة المعنى"[٢].

واللافت للنظر أن الحكيم الترمذي ترك لنا أكثر من مؤلف في المقاصـــد الجزئية، ويكفي الإشـــارة إلى "إثبات عِلَل الشريعة"، و"عِلَل العبادات"، و"الصلاة ومقاصدها"، و"الحج وأسراره".

ولم يكتب الحكيم الترمذي في المقاصـد الجزئية فحسـب، بل في الكلية أيضًـا لأنه أدرك المعاني في "الحفظ" من جانبي الوجود والعدم، فهو من أبرز علماء المقاصـد، ومن السـابقين للتصـنيف في "علم مقاصـد الشـريعة"، فهو من القائلين بتعليل الشـريعة وأنها معقولة المعنى، واشـتمل كتابه "إثبات علل الشـــريعة"، وربما لأول مرة بهذا الترتيب، مقاصـــدًا للشـــريعة في العبادات والمعاملات، فقد ذَكَرَ عللاً للعبادة من صلاة وصيام رمضان وزكاة وحج.

والمقاصـد عند الحكيم الترمذي هي بحث في العلل والأسـرار والحكم، وكلها تعني إشـارات إلى المقاصد بعناصرها الرئيسة، وما هو بالنسبة لنا من دلالة الاقتضاء.[٣]

أشـار إلى بعض المقاصـد السـياسـية وهو يتحدث عن إمامة السـلطان في الصـلاة، وذكر بعض علل المعاملات في الربا والبيوع والمواريث، وتحريم الخمر وغير ذلك، وقد يقال إن منهجه الصـــوفي قد

---

(١) انظر: حاتم بوسمة، المرجع السابق، ص٢٤.

(٢) محمد كمال الدين إمام، المقاصد قبل الشاطبي،http://www.alihyaa.ma/Article.aspx?C=5798.

(٣) المرجع السابق.

جعله أميل إلى باطن المقاصد، ومدار الأمر عندي في الريادة المقاصدية، وهو في ذلك رائد ولا شك، أما في التعليل الجزئي فهو مثل غيره أخطأ وأصاب.

إن البحث عنده عن المقاصد هو بحث في أسرار التشريع، وحسب الحكيم الترمذي أنه اعتمد القرآن والسُّنَّة باعتبارهما أهم مسالك المقاصد، وكُتُبُ الحكيم الترمذي، كما لاحظ بحق أحمد الريسوني، تنم عن اهتمام مكثف بمقاصد الشريعة، وحسبه أن لفظ المقاصد قد ورد عنده صريحًا سواء كان ذلك عن عمد، وهو ما أرجح، أو أنه جاء عرضًا، وهو من أبرز الدارسين لمقاصد الشريعة عند الحكيم الترمذي.

قد استعمل المادة التي كان منها اشتقاق مصطلح "مقاصد"، وهي مادة (ق. ص. د) في مواطن عدة من مصنفاته، وكانت في هذه المواطن تعني المعنى المعهود من عبارة "مقاصد الشريعة"، فالرجل إذن قد عرف مقاصد الشريعة وتقسيماتها، كما عرف مسالكها النقلية والعقلية، ولا يؤثر في تقويمنا الإيجابي له منهجه العرفاني الذوقي؛ لأن تصوف «الحكيم الترمذي» يعتمد على القرآن والسُّنَّة، ولأن الحكيم الترمذي أضفى "بذَوقه" بُعدًا روحيًا لا يمكن تجاهله في دراسات مقاصد الشريعة والتي لا تَنفصِلُ المقاصد فيها عن الأخلاق، ولعل لهذا السبب لقب بالحكيم، قال د.حامد طاهر: "ومع ذلك يمكن التساؤل : لماذا لم يعمم هذا اللقب على كل من قام بهذا العمل ؟ يبدو أن لقب الحكيم ارتبط بتفرده بين الصوفية بالإلمام بكثير من علوم عصره العملية كالطب والفلك، كما أنه سلك فى حياته مسلكًا خاصًا بين الناس استحق به هذا اللقب."(١)

أما في كتابه إثبات العلل فقد حققه د. خالد زهري وذكر أن قضية التعليل عند الترمذي قائم على مسألتين، مهمتين:

جلب المصالح.

درء المفاسد.

---

(١) حامد طاهر، مواجهة الشر عند الحكيم الترمذي، http://www.hamedtaher.com/index.php?option=com_content&view=article&id=589&Itemid=326

إن المقاصـد عند «الحكيم الترمذي» أسـاس في فهم الشـرائع، يقول في "إثبات علل الشـريعة": "إن الله تعالى شرع لكل رسول شريعة الأمر والنهي من الحكمة البالغة، فمن عَلم ذلك فقد عرف الشرائع، وقال فأفعال الصلاة مختلفة على اختلاف الأحوال من العبد"(١).

قد ذكر د.طارق حجي قضـيّة التعليل تلك والمسـائل التي بناها الحكيم الترمذي فقال: "ورغم وجود هذه المضامين للتعليل عند الترمذي بالفعل، إلا أنها تمثل جزءًا فحسب من مضمون العلة عنده وهو ما يتعلق بالتشريعات، أما في جانب تعليل العبادات –وهو الموضوع الرئيس لكتاب إثبات العلل– فنحن نجد أن الترمذي يلتفت لمضـامين أخرى للعلة مرتبطة بالعبادات وحدها، غابت عن الزهري بسبب توحيده العلة بالمضمون الذي استقر عنها مقاصديًا وقراءته للترمذي انطلاقا منه، هذه المضامين التي تناولها الترمذي في تعليله للعبادات هي:

١ – تعليل الشعائر بأبعاد يمكن إجمالها فيما أسميانه في موضع سابق بـ«الجانب الشعائري للشعيرة» ونقصـد به ما تقوم به الشـعيرة من أدوار «التأسـيس الدوري للكون الديني– ومنه تأسـيس الزمن المقدس» و«تجديد تجربة الإيمان» و«تجديد العهد».

٢–تعليلها كذلك بـ«علاقة الشـعيرة بجوهر هذا الكون المؤسـس» وهو هنا «التوحيد»، حيث تكون الشـعيرة تكريسًـا للكون التوحيدي، وهذين المضـمونين للتعليل نجدهما بكل وضـوح في كتاب الترمذي، سـواءً في تعليله لسبب وجود العبادات من الأسـاس، أو في تعليله لبعض الشـعائر أو حتى لبعض تفاصيلها، ما يعني أن تعليل العبادات عند الترمذي يختلف عن تعليل الشرائع، بداية وأساسًا من حيث «مضمون التعليل ومداره»، كذا وكما سنذكر، من حيث منهج التعليل، مما يجعل «تعليل العبادات» عند الترمذي فنًا خاصًا"(٢).

---

(١) محمد بن علي بن الحسن بن بشر الترمذي، الصلاة ومقاصدها، تحقيق: حسني نصر زيدان، (القاهرة: دار الكتاب العربي، د.ط، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)، ص١٢.

(٢) طارق حجي، الحكيم الترمذي وتعليل العبادات، http://ida2at.com/al-hakim-al-tirmidhi-explanation-of-worship .

٣-الفكر المقاصدي عند الحكيم الترمذي رحمه الله يظهر بشكل واضح في كتابه إثبات العلل وإنه من السابقين في التأليف في علم مقاصد الشريعة فقد ذكر في المقدمة لما تكلم عن الشريعة قال: ولكن عللها قائمة علمها من علمها وجهلها من جهلها وقرر أن الشريعة معللة بجلب المصالح ودرء المفاسد بشواهد النقل والعقل.

أ- النقل:

- كقوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه.
- وقوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم.

ب- وأما شواهد العقل:

- فمنها أن الله تعالى في أمره ونهيه إما أن يكون خاطبنا جزافـًا، وإما أن يكون لحكمة. فالأول عاطل باطل لأنه تعالى منزه عن العبث فيتحصل الثاني.
- جعل الولاية شرطـًا أساسيّـًا في الاجتهاد والاستنباط.
- تمييزه بين:

أ- مقاصد الخطاب.

ب- مقاصد الأحكام.

- قسم المقاصد بشكل تطبيقي إلى:

أ- عامة:

- هي التي تمت مراعاتها على صعيد الشريعة كلها أو غالبها.

ب- خاصة:

- وهي المتعلقة بمجال خاص من مجالات التشريع كمجال المعاملات أو العبادات أو غيرها.

ج- جزئية:

- وهي المتعلقة بكل حُكم من الأحكام الجزئية في الشريعة.
- يقتصر الحكيم الترمذي على تسليط الضوء على ضرورية دون أخرى وتفصيل القول فيها بحسب

ما يقتضيه المقام.[1]

- قال الشيخ الريسوني -حفظه الله- "كانت له عناية بارزة بمقاصد الشريعة وعللها وأسرارها، وهو أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي، المعروف بالترمذي الحكيم، وقد اختلف في سنة وفاته اختلافا غريبا والراجح أنه عاش إلى أواخر القرن الثالث الهجري، وربما إلى أوائل القرن الرابع، وأول ما يلفت الانتباه ويستحق التنويه عند الحكيم الترمذي، هو أنه -فيما نعرف- أول من استعمل لفظ "المقاصد" في عنوان كتابه، وذلك في كتابه (الصلاة ومقاصدها)، وهو كتاب محقق ومطبوع منذ عدة سنين. وهذا نموذج منه يعلل فيه أفعال الصلاة وما ظهر له من أسرارها، قال رحمه الله: "فأفعال الصلاة مختلفة على اختلاف الأحوال من العبد: فبالوقوف يخرج من الإباق وبالتوجه إلى القبلة يخرج من التولي والإعراض وبالتكبير يخرج من الكبر وبالثناء يخرج من الغفلة وبالتلاوة يجدد تسليما للنفس وقبولا للعهد وبالركوع يخرج من الجفاء، وبالسجود يخرج من الذنب وبالانتصاب للتشهد يخرج من الخسران وبالسلام يخرج من الخطر العظيم"[2]. ثم راح يفصل هذه الإشارات في بقية فصول الكتاب، الترمذي الحكيم يغلب عليه -كشأن علماء الصوفية وشيوخها- هذا المنحى الرمزي الذوقي، في تعليل أحكام الشريعة وتكاليفها وهذا ما نجده في كتب تعليلية مقاصدية أخرى له، مثل كتاب "إثبات العلل" وكتاب "الحج وأسراره"، وفي تقديري، فإن القيمة اكبرى للترمذي، لا تكمن في تعليلاته التي شملت الكثير من العقائد والأحكام الشرعية، بقدر ما تكمن في منحاه التعليلي الذي لايكاد يستثني شيئًا، فهو قد خدم فكرة التعليل والتقصيد لأحكام الشريعة بشكل قل نظيره فيمن بعده فضلاً عمن قبله".[3]

- إن البحث عن الحكيم الترمذي عن مقاصد الشريعة كان شموليّا ويعبر عن عمق نظرته

(١) المرجع السابق.

(٢) محمد الترمذي، الصلاة ومقاصدها، المرجع السابق، ص١٢-ص١٥.

(٣) أحمد الريسوني، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد سليم العوا، (بيروت: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، د.ط، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص١٨١.

رحمه الله على عكس كثير من البحوث الحاليّة، كما قال د.جاسر عوده "إن منهج البحث في الشريعة لإسلامية في هذا العصر كثيراً ما يكون اختزاليًا لا شموليًا، تجزيئيًا لا تكامليًا، حرفيًا لا أخلاقيًا، مهملاً للواقع لا متفاعلاً معه، أحادي النظرة لا متعدد الأبعاد، يقتصر على الألفاظ ودلالاتها ولا يعتبر المقاصد من وراء النصوص الشرعية والأولويات في تطبيقها"(١).

- مظاهر صوفيته في نظرته المقاصدية:

١-إن كتاب إثبات العلل ارتبط بتقسيم الصوفية للعلماء فقد قسموهم إلى:

أ- عامة.

ب- خاصة.

ت- خاصة الخاصة

وهذا الذي قرره الحكيم الترمذي رحمه الله في كتابه المذكور آنفًا في نظرته للمقاصد والأسرار من الأحكام الشرعية وعللها، فيقول مثلاً:

"فإن هذه كلمات خصت بهن هذه الأمة، فالعامة أعطيت حروفها واللفظ بها، والأولياء أعطت معانيها، ورؤية المعاني أعطى خاص الأولياء".(٢)

٢-تقسيمه للعلم إلى نوعين:

أ- ظاهر، وهو القشور يكون للعامة.

ب- باطن، وهو اللب ويكون للعلماء.

٣-المعرفة عند الإمام الحكيم الترمذي لها طريقان، على النحو الآتي:

---

(١) جاسر عوده، مقاصد الشريعة كفلسفة للتشريع الإسلامي، ترجمة: عبد اللطيف الخياط، (بيروت: المعهد الدولي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١٢م)، ص٤٩.

(٢) محمد الترمذي، المرجع السابق، اثبات العلل، ص١٠٠.

أ- طريق الظاهر:

وهو ما يسميه العوام أي العامة، وهو قشور المعرفة.

ب- طريق الخواص:

وهو للخواص المفضي إلى المعرفة.

٤-تفريقه بين العلم والحكمة:

أ- العلم للعامة.

ب- الحكمة للخاصة.

٥-تفريقه بين الألفاظ والمعاني:

أ- الألفاظ للعامة.

ب- المعاني للخاصة.

٦-نعته للعباد وأهل الولاية بـ أهل العلل؛ وذلك لأنهم أحرى بمعرفة تفاصيل التشريعات ودقائق التعليلات المنصوص عليها والمستنبطة.

- إن الحكيم الترمذي يستند في تعليلاته إلى عدة **أسس**، منها:

أ- أسس لغوية.

ب- أسس نقلية.

ت- أسس ذوقيّة عرفانيّة.

أمثلة لأسس اللغة:

ذكر علة القعود فيقول:

أن علة السجود أنه غطاء للساجد على ما سلف من الذنوب التي قد تاب منها وهي كفارة له، فهنا استخدم المعنى اللغوي للكفارة وهي الغطاء.

ثم يذكر علة التحيات والتسليم فيقول:

أن الأمر الذي بجعل كل التحيات للحي الذي لا يموت؛ وذلك استناداً إلى المعنى اللغوي للتحية وهو مأخوذ من الحياة.

ثم يذكر علة الصف فيقول:

أن من علل القيام للصف في الصلاة اتفاق الظاهر والباطن، وإلا كان ذلك نفاقًا، وذلك استناداً إلى المعنى اللغوي للنفاق وهو ما كان ذو وجهين.

ثم يذكر علة صلاة الفطر وصدقته وصلاة الضحى والأضحى فيقول:

أن هذا عائد للمعنى اللغوي لرمضان وهو الإرماض؛ حيث أن من علل صوم رمضان مغفرة الذنوب فيرمض به ذنوب العباد.

ثم يذكر علة الزكاة فيقول:

من عللها نمو المال وزيادته، وهذا بناء على ما ذكر أنه عائد إلى المعنى اللغوي للزكاة وهي النماء والزيادة والبركة.(١)

كذلك من الأسس اللغوية في تحليله للنظرة المقاصدية لأحكام الشرع استعماله رحمه الله تعالى للاستعارات، فيقول مثلاً:

- للقلب شمس.
- للشهوات دخان.
- لليل سلطان.
- الرحمة تجري كالسيل.
- ولأخلاق السوء بنيان يقلعه سيل الرحمة.
- أول حلول الليل يستعير له إقبال أوائل جيوش ملك.

وكل ذلك يجعله يصب في كشف العلة والمصلحة والمعنى.

وهناك أمثلة قائمة على النقل:

(١) اثبات العلل، المرجع السابق، ص٩٠.

- تحريم الخمر مثلاً:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ * يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾[البقرة:٢١٩].

وهناك علل عنده رحمه الله قائمة على الذوق الصوفي والنظر العرفاني كما أشرنا سابقًا في صلة صوفيته في تعليله للأحكام، فيقول مثلاً:

من علل الحج شعور قلبك بربك في تلك الحال، وأنك تعلمه كأنك تراه وتريه فعلك.[١]

- إن من شروط الاجتهاد عند الحكيم الترمذي رحمه الله تبارك وتعالى هو شرط أساسي عنده وهو العلم بمقاصد الشريعة وأسرار تشريعها للأحكام.

(١) اثبات العلل، المرجع السابق، ص١٢٠.

الخاتمــة

إن الباحث في ختام هذا البُحيّث سوف يقسم الخاتمة إلى مجموعة من النتائج، ثم سرد بعض التوصيات، على النحو الآتي:

أولاً: النتائج:

١-توصل الباحث في مجموع ما قرأه عن الحكيم الترمذي رحمه الله تعالى أنه أول أو من أوائل من ذكر مقاصد الشريعة وبذلك يستدرك على الذين قالوا بأن أول من ذكر ذلك الإمام القفال الشاشي الشافعي رحمه الله تعالى، إذ أن الأول توفي سنة ٣٢٠هـ والثاني توفي سنة ٣٦٥هـ رحمهما الله تعالى جميعًا وجمعنا بهما في الفردوس الأعلى.

٢-أن الله تعالى يبتلي عباده من أهل الإيمان؛ فقد ابتلي الحكيم الترمذي رحمه الله تعالى في مخالفته الفكر السائد آنذاك، وعليه نستنتج أن طالب العلم لابد أن يتسلح بالصبر على ما قد يلاقيه في ميدان العلم خصوصًا وأن الناس أعداء ما يجهلون.

٣-أن طالب العلم قد يقال فيه ما لا يعتقده ولا يتبناه من الأفكار، فقد رأينا أن الحكيم الترمذي رحمه الله تعالى رمي بفرية تقديمه الولي على النبي من حيث الأولوية والأفضليّة، ومع ذلك نجده صابراً محتسبًا، ولعل ابن تيميّة رحمه الله تعالى قد سمع ذلك من بعض من لا تثبت عنده فبنى عليه أو مما قرأه مما يحسبه من الثقات فوقعت الزلة، وكما قيل زلة العالم مضروبٌ لها الطبل فقد انتشرت هذه التهمة المزيفه عنه كثيراً وقد نفاها عن نفسه كما رأينا في كتابه خاتم الأولياء.

٤-أن الفكر المقاصدي يظهر واضحًا عند الإمام الحكيم الترمذي رحمه الله تعالى في كتابه إثبات العلل، وكتاب الحج وأسراره.

٥-أن الدليل على أن الأحكام معقوله المعنى عنده مبنيّه كما بيّن على شواهد العقل وكذلك شواهد النقل، حيث أنه لا يتعارض العقل الصحيح مع النقل الصريح.

٦-أن فكره الصوفي كان له بالغ الأثر في أعطاه بعداً روحيًا في تعليله للأحكام، فقد أعطى بعداً ذوقيًا

كما يقال للحكام والتشريعات وفلسفة نزول إقامة الأوامر وتجنب النواهي وهذا ما تميز به الحكيم الترمذي رحمه الله عن غيره ممن كتب عن المقاصد.

٧-أن بعض الأمور التي يعللها الحكيم الترمذي في نقد للباحث هي أقرب للخرافة إذ لا دليل نقلي ولا عقلي عليها كقوله أن الوحوش تصوم في عاشوراء.

ثانياً: التوصيات:

١. يوصي الباحث بضرورة طباعة كتب من ألف في علم مقاصد الشريعة بوجه عام كالقفال الشاشي والآمدي والعز بن عبد السلام والجويني والغزالي ونجم الدين الطوفي وأبو منصور الماتريدي وابن بابويه القمي والشـــاطبي وابن تيمية وغيرهم، وكتب الحكيم الترمذي بوجه خاص كإثبات العلل والحج وأسراره وغيرها، وذلك لما تشتمل عليه من الخير والهدى والصلاح الديني والدنيوي.

٢. يوصي الباحث الجامعة الإسلامية العالمية بإقامة ندوة عن أهمية علم مقاصد الشريعة الإسلامية، ودور الحكيم الترمذي في ذلك رحمه الله تعالى.

٣. يوصي الباحث إخوانه من طلاب العلم وطالباته بعدم الزهد بعلم مقاصد الشريعة الإسلامية وأن يتركوا عنهم حملات الصد عن هذه العلوم، بل أوصي نفسي وغيري بالاستزادة منها فهي سلاح عظيم في ظل أزمة التخبط الفكري المعاصر.

٤. يوصي الباحث أهل العلم من أئمة المساجد والخطباء بضرورة الإشارة إلى هذا العلم في الخطب المنبرية حتى يستفيد الجميع وينهلوا منها.

٥. يوصـــي الباحث من أنيطت به توعية المجتمع ألا يبخل عليهم بالتنبيه على أهمية هذا العلم وبيان أثرها على الفرد والمجتمع.

المراجـــع والمصادر

الكتب العربية

- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر. (د.ت). مصرع التصوف (د.ط). عبد الرحمن الوكيل (تحقيق). مكة المكرمة: عباس أحمد الباز.
- الريسوني، أحمد. (١٤٢٧هـــ/ ٢٠٠٦م). مقاصد الشريعة الإسلامية (د.ط). محمد سليم العوا (تحقيق). بيروت: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.
- عوده، جاسر. (١٤٣٢هـــ/ ٢٠١٢م). مقاصد الشريعة كفلسفة للتشريع الإسلامي (ط١). عبد اللطيف الخياط (ترجمة). بيروت: المعهد الدولي للفكر الإسلامي.
- بوسمة، حاتم. (١٤٣٦هـــ/ ٢٠١٥م). مدخل إلى دراسة مقاصد الشريعة الإسلامية (د.ط). تونس: الدار التونسية للكتاب.
- الترمذي، محمد بن علي بن الحسن بن بشر. (١٤١٩هـــ/ ١٩٩٨م). إثبات العلل (ط١). خالد زهري (تحقيق). الدار البيضاء: النجاح الجديدة.
- الترمذي، محمد بن علي بن الحسن بن بشر. (١٣٨٥هـــ/ ١٩٦٥م). الصلاة ومقاصدها (د.ط). حسني نصر زيدان (تحقيق). القاهرة: دار الكتاب العربي.

الشبكة العنكبوتية

حامد طاهر، مواجهة الشر عند الحكيم الترمذي، <

http://www.hamedtaher.com/index.php?option=com_content&view=article&id=589&Itemid=326 >

شوهد في ١٢ مايو ٢٠١٧م.

طارق حجي، الحكيم الترمذي وتعليل العبادات،

<http://ida2at.com/al-hakim-al-tirmidhi-explanation-of-worship/>،

شوهد في ٦ مايو ٢٠١٧م.

محمد عثمان الخشت، المنهيات للترمذي،

< http://shamela.ws/browse.php/book-8343/page-27>

شوهد في ١٢ مايو ٢٠١٧م.

محمد كمال الدين إمام، المقاصد قبل الشاطبي،

<http://www.alihyaa.ma/Article.aspx?C=5798>

شوهد في ١٢ مايو ٢٠١٧م.

موقع المعرفة، الحكيم الترمذي،

< http://www.marefa.org/index.php/الحكيم_الترمذي>

شوهد في ١٢ مايو ٢٠١٧م.

مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الحكيم الترمذي،

< http://www.mominoun.com/ articles /الحكيم-الترمذي-٨٧٦>

شوهد في ١٢ مايو ٢٠١٧م.

ويكيبيديا، الموسوعة الحرة،

/http://ar.wikipedia.org/wiki>الحكيم_الترمذي<

آخر تعديل لهذه الصفحة ٢١ سبتمبر ٢٠١٦م.

محتويات البحث